الصليب في الإنجيل والقرآن

بقلم اسكندر جديد

1 صَلبُ المسيح وأثره في الإسلام

هذا الموضوع يثير جدليّة الإسلام، كما لم يثرها أيّ موضوع آخر. فمع أنّ القرآن يقول بوفاة المسيح قبل ارتفاعه إلى السماء، فإنّ علماء الإسلام اختلفوا في تفسير كلمة متوفيك التي وردت في سورة آل عمران 55.

ففريق منهم يقول إنّ الوفاة هنا لا تعني الموت، بينما فريق آخر يقرّ بأنّ المسيح مات فعلاً. ولهم في ذلك روايات شتّى، يوردونها بالإسناد عن علماء معتَبَرين. وقد رأيتُ أنّه من المفيد إيراد بعضها نقلاً عن مفسّرين أعلام، كالطبري والرازي والزمخشري وغيرهم :

1 النوم : عن المثني، قال حدّثني إسحاق، عن عبد الله بن جعفر عن الربيع، في قوله إنّي متوفيك قال وفاة النوم رفعه الله في منامه.

2 الاستيفاء : عن علي بن سهيل، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق في القول إنّي متوفيك قال متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت.

3 القبض : عن يونس، قال أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد في قوله إنّي متوفيك قابضك... ولم يمت بعد حتّى يُقتَل الدجّال وسيموت.

4 المقدّم الذي معناه التأخير : قال أبو جعفر الطبري بالإستناد على حديث متواتر عن محمّد، أنّه قال : ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجّال ثمّ يمكث في الأرض مدّة، ذكرها واختلفتِ الرواية في مبلغها ثمّ يموت فيصلّي عليه المسلمون.

أمّا الفريق الذي يقرّ بأنّ الوفاة هي الموت، فلهم عدّة روايات متباينة منها :

1 عن المثنّى، قال حدّثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن علي، عن ابن عبّاس، قوله إنّي متوفيك أي مميتك.

2 عن ابن حميد، قال حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبّه أنّه قال توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات حتّى رفعهجامع البيان 3 :289-292.

أمّا شرح الإمام الرازي فنقتبس منه الشهادات التالية :

قال هذا العالِم في تفسير الآية : إذ قال الله يا عيسى إنّي متوفيك ورافعك إليّ! ، اعترفوا بأنّ الله : شرّف عيسى في هذه الآية بصفات :

الصفة الأولى : إنّي متوفيك ونظيره قوله تعالى، حكاية عنه فلمّا توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم. واختلف أهل التأويل في هاتين الآيتين على طريقين أحدهما إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير.

الصفة الثانية : فرض التقديم والتأخير فيها. أمّا الطريق الأول فبيانه من وجوه :

الوجه الأول : معنى قوله متوفيك أي متمّم عمرك، فحينئذٍ أتوفاك. فلا أتركهم حتّى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقرّبك لملائكتي، وأصونك عن أن يتمكّنوا من قتلك.

الوجه الثاني : متوفيك أي مميتك. وهو مروي عن ابن العبّاس، وحمد بن إسحاق. قالوا والمقصود، أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله. ثمّ أنّه بعد ذلك، أكرمه بأن رفعه إلى السماء، ثمّ اختلفوا على ثلاثة أوجه :

أوّلاً : قال وهب : توفي ثلاث ساعات ثمّ رُفِع.

ثانياً : قال محمّد بن إسحاق : توفي سبع ساعات ثمّ أحياه الله ورفعه.

ثالثاً : قال الربيع بن أنس : أنّه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء. قال تعالى : الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها التفسير الكبير 8 : 67.

فنظرا لتضارب الآراء عند فقهاء المسلمين واختلافهم في تفسير آي القرآن عن آخرة المسيح لا يستطيع الباحث المخلص إلاّ أن يتّجه إلى نصوص الإنجيل التي لا تحتاج إلى تأويل. لأنّ لا تناقض فيها بخصوص موت المسيح وقيامته وصعوده.

2 الصليب في الإنجيل والقرآن

في الأصحاح الأول من رسالته إلى الكورنثيّين، قال الرسول بولس : لِأَنَّ اليَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بالمَسِيحِ مَصْلُوباً : لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ : يَهُوداً وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللّهِ وَحِكْمَةِ اللهِ كورنثوس الأولى 1 :22-24. وقال في الأصحاح الثاني : وَأَنَ المَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُوِّ الكَلَامِ أو الحِكْمَةِ مُنَادِيا لكُمْ بِشَهَادَةِ اللّهِ، لِأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ المَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً كورنثوس الأولى 2 :1-2.

وإذا تأمّلنا في أقوال الرسل عامّة، نرى أنّ الإنجيل الذي بشّروا به منذ فجر المسيحيّة وقبله الناس وبه خلصوا، إنّما كان الخبر السارّ، الذي لخّصه بولس بهذه العبارات الصريحة : أَعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بالإِنْجِيلِ الذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضاً تَخْلُصُونَ، إنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلَامٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثاً! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً : أَنَّ المَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الكُتُبِ كورنثوس الأولى 15 :1-4.

ومع ذلك، فبعد مرور ما يربو على الخمس مائة عام على انتشار هذا الإنجيل في كلّ العالم، جاء مَن يعترض على هذه الحقيقة, لكأنّه يقول للمسيحيّين : أنتم على خطأ في دينكم!

ولعلّ أصحاب هذا الاعتراض أخذوا فكرتهم عن أهل البدع من اليهود المتنصّرين، الذين جاروا آباءهم بالاعتقاد أنّ المسيح لا يموت. ونحن مدينون جدّا ليوحنّا البشير الذي ذكر لنا هذا الأمر في إنجيله، إذ سجّلَ لنا قول الفرّيسيّين

في حوارهم مع المسيح : نَحْنُ سَمِعْنَا مِنَ النَّامُوس أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟يوحنّا 12 :34.

ويذكر لنا المؤرّخون أنّ ضلالة كانت شائعة عند نصارى الجزيرة العربيّة مفادها أنّ المسيح، وهو القادر أن يتحوّل من صورة إلى صورة، حين جاء أعداؤه لإلقاء القبض عليه، ألقى شبهه على إنسان آخر، فصُلِب بديلاً عنه.

أمّا المسيح فقد ارتفع إلى الذي أرسله، هازئاً بأعدائه.

فالنصّ القرآنيّ عن آخرة المسيح، جاء متّفقاً مع هذه الرواية ومعاكسا لرواية اليهود، إذ يقول : وَقَوْلِهِمْ أي اليهود إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ا بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الذِينَ ا خْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ا تِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً سورة النساء 4 :157-158.

وعلّنا نفهم من رواية أهل البدع الذين التصقوا بالمسيحيّة، أنّ الصليب بالنسبة لهم لم يكن قضيّة تاريخ وعقيدة فداء. بل مسألة رمزيّة كالنجم الذي اهتدى المجوس به إلى مهد طفل المذود في بيت لحم، وكهيئة الحمامة التي نزل بها الروح القدس على المسيح أثناء عماده في نهر الأردنّ. أمّا الخشبة الضخمة التي عُلّق يسوع عليها والتي هي مذبح الفداء، الذي قُدّم عليه حَمَل الله ليرفع خطيّة العالم، فلا أهمّيّة لها عندهم. لكأنّهم يرفضون الحقيقة التي نادى بها رسول الأمم : اَلْمَسِيحُ ا فْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوس، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ : مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ. لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ غلاطية 3 :13-14.

ولعلّ أغرب ما يُقال في الاعتراض على الصليب، هو ما جاء في الإنجيل المزوَّر والمنسوب إلى يوحنّا، والذي ألَّفه أولئك المبدعون : إنّ هذا الصليب المنير، الذي تراه أمامك ليس بصليب الخشب الذي ستراه عند رجوعك إلى الأرض. على ذلك الصليب لم أكن إيّاي الذي تسمعه الآن ولا تراه. لقد ظنّوني مَن لستُ إيّاه، إذ لم أكن حينئذٍ مَن كنت بين الجماهير.

فممّالا شكّ فيه أنّ الإسلام ورث هذا النفور من الصليب من أولئك المبدعين، الذين كانوا منتشرين في الجزيرة العربيّة التي هي مهد الإسلام. والمؤسف في الأمر، أن يختلف فقهاء الإسلام في موضوع إحلال الشبه محلّ المسيح، وتنطلق عدّة روايات متباينة منها :

أ - أنّ اليهود لمّا صمّموا على قتل عيسى رفعه الله إلى السماء، فخاف رؤساؤهم من انتفاض الشعب عليهم فأخذوا إنساناً وقتلوه وصلبوه ولبَّسوا على الناس أنّه عيسى.

ب - أنّ الله ألقى شبه عيسى على إنسان آخر فمات هذا بديلاً عنه. ولهذه الرواية عدّة وجوه :

1 - دخل تيطاوس اليهوديّ بيتاً، كان المسيح فيه بقصد اعتقاله، فلم يجده. وألقى الله شبه عيسى عليه، فلمّا خرج ظنّوه أنّه عيسى فأخذوه وصلبوه.

2 - أنّ اليهود حين اعتقلوا عيسى، أقاموا عليه حارساً. ولكنّ عيسى رُفِعَ إلى السماء بأعجوبة، وألقى الله شبهه على الحارس فأُخِذَ وصُلِبَ وهو يصرخ أنا لست بعيسى.

3 - وُعِدَ أحد أصحاب عيسى بالجنّة فتطوّع بالموت عنه، فألقى الله شبه عيسى عليه فأُخرجَ وصُلِبَ. أمّا عيسى فرُفِعَ إلى السماء.

4 - نافق أحد تابعِي عيسى أي يهوذا وجاء مع اليهود ليدلّهم عليه. فلمّا دخل معهم لأخذه ألقى الله عليه شبهه فأُخِذ وقُتِل وصُلِبَ.

وقد سرد أبو جعفر الطبري في كتابه جامع البيان عدّة روايات في هذا الصدد.

الأولى أنّ بعضهم قال : لمّا أحاطت اليهود بعيسى وبأصحابه أحاطوا به، وهم لا يثبتون في معرفة عيسى عينه. وذلك أنّهم جميعاً حُوِّلوا في صورة عيسى. فأَشْكِل الأمر على الذين كانوا يريدون قتلَ عيسى. فخرج إليهم بعض مَن كان في البيت مع عيسى فقتلوه وهم يحسبونه عيسى.

الثانية مروية عن ابن حمية، عن يعقوب القمّيّ، عنوهب بن منبّه. قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريّينفي بيت وأحاطوا به. فلمّا دخلوا صوّرهم الله كلّهم على صورة عيسى. فقالوا لهم سحرتمونا. لتبرزنَ لنا عيسى، أو لنقتلنّكم جميعاً.فقال عيسى لأصحابه : مَن يشتري نفسه منكماليوم بالجنّة؟ فقال رجل منهم أنا. فخرج إليهم، فقال أنا عيسى فأخذوه، فقتلوه وصلبوه. فمِن ثمّ شُبِّه لهم. وظنّوا أنّهم قتلوا عيسى. ورفع الله عيسى من يوم ذلك.

الثالثة مروية عن محمّد بن الحسين، عن أحمد بن المفضّل، عن أسباط، عن السديّ، قال إنّ بني اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريّين في بيت. فقال عيسى لأصحابه : مَن يأخذ صورتي، فيُقتَل وله الجنّة؟ فأخذها رجل منه، وصعد بعيسى إلى السماء. فلمّا خرج الحواريّون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أنّ عيسى عليه السلام قد صعد بهم إلى السماء فجعلوا يعدّون القوم، فيجدون أنّهم ينقصون رجلاً من العدّة، ويرون صورة عيسى فيهم فشكّوا فيه. وعلى ذلك الرجل. وهم يرون أنّه عيسى فصلبوه.

الرابعة مروية عن ابن حميد، عن سلمة عن ابن إسحاق. قال : كان اسم ملك بني إسرائيل الذي أرسِل إلى عيسى ليقتله رجلاً منهم يُقال له داود. فلمّا أجمعوا لذلك، لم يفزع عبد من عباده بالموت فزعه. ولم يجزع جزعه. وإنّه ليقول عمّا يزعمون : اللهمّ إن كنتَ صارفاً هذه الكأس عن أحد من خلقك، فاصرفها عنّي وحتّى إن جلده من كرب ذلك، ليتفصّد دماً. فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه، ليقتلوه، هو وأصحابه، وهم ثلاثة عشر بعيسى. فلمّا أيقن أنّهم داخلون عليه ألقى شبهه على أحدهم فأمسكوه وصلبوه.

الخامسة مروية عن سلمة، قال حدّثني رجل كان نصرانيّاً فأسلم، أنّ عيسى حين جاءه من الله إنّي رافعك إليّ، قال : يا معشر الحواريّين أيّكم يحب أن يكون رفيقي في الجنّة، على أن يشبّه للقوم في صورتي فيقتلوه مكاني؟ فقال سرجس. أنا يا روح الله. قال فاجلس في مجلسي. فجلس فيه ورفع عيسى، فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه. فكان هو الذي صلبوه وشُبّه لهم جمع البيان 6 :12-14.

وجاء في تفسير السنوي الجزء الأوّل عن مالك : من المحتمل أن يكون المسيح، مات حقيقة، وأنّه سيحيا في آخر الزمان، ويقتل الدجّال.

وجاء في تفسير ابن كثير، عن إدريس : قال : مات المسيح ثلاثة أيّام ثمّ بعثه الله ورفعه.

وقال إخوان الصفا : إنّ المسيح مات وصُلِبَ وقام وتراءى لخاصّته بعد ذلك إخوان الصفا جزء 4، ص3. وكذلك اختلفوا في اسم الشخص الذي صُلِب. ففريق قال إنّه يهوذا، وفريق قال إنّه تيطاوس، وفريق قال إنّه سرجس، وفريق قال إنّه أحد الحواريّين وكذلك مفسّرو القرآن، إلاّ قليلاً منهم لم يكونوا أكثر توفيقاً في رواياتهم. فقد قال الجلالان في تفسير مقالة القرآن : ولكن شُبّه له المقتول وهو صاحبهم بعيسى، أي ألقى الله عليه شبه عيسى فظنّوه إيّاه فقتلوه وصلبوه. وأنّ الذين اختلفوا فيهأي عيسى لفي شكّ منه أي مَن قتله. لأنّ بعضهم لمّا رأوا المقتول قالوا، الوجه وجه عيسى أمّا الجسد فليس بجسده، وقال بعض آخر أنّه، هو هو تفسير الجلالين ص 135.

وقال البيضاوي : روي أن رهطاً من اليهود سبُّوا عيسى وأمّه، فدعى عليهم فمُسخوا قردة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنّه يرفعه إلى السماء. فقال لأصحابه : أيّكم يرضى بأن يُلقى عليه شبهي فيُقتَل ويُصلّب ويدخل الجنّة. فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقُتل وصُلِب.

أمّا الزمخشريّ، فقد قال : شُبِّه لهم أي خُيِّلَ إليهم، أو توهّموا أو أوهموا أنّهم قتلوه وصلبوه، فهو ميت لا حيّ، بل هو حيّ لأنّ الله رفعه إليه.

ولا مراء في أنّ هذا التباين في الروايات، نجم عن عدم وجود نصّ صريح في القرآن، حول نهاية أيّام جسد المسيح على الأرض. وهذا التباين فتح باب الإشكال والتضارب في الآراء. ولهذا لم يكن بدّ لعالمٍ نزيه كالإمام العلاّمة فخر الدين الرازي، أن يفنّد قصّة الشبه تفنيداً محكماً. ففي تفسيره العدد **55** من سورة آل عمران يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ عالج مسألة الشبه بكلّ موضوعيّة إذ قال :

من مباحث هذه الآية موضع مشكل، وهو أنّ نصّ القرآن دلّ على أنّه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره، على ما قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم والأخبار أيضاً واردة بذلك، إلاّ أنّ الروايات اختلفت. فتارة يروي أنّ الله تعالى ألقى شبهه على بعض الأعداء الذين دلّوا اليهود على مكانه حتّى قتلوه وصلبوه، وتارة يروي أنّه رغب بعض خواصّ أصحابه في أن يلقي شبهه حتّى يُقتل مكانه. وبالجملة فكيفما كان، ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات :

الإشكال الأول أنّا لو جوّزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر، لزم السفسطة. فإنّي إذا رأيت ولدي، ثمّ رأيته ثانياً فحينئذٍ أجوز أن يكون هذا الذي رأيته ثانياً، ليس بولدي، بل هو إنسان ألقي شبهه عليه. وحينئذٍ يرتفع الأمان على المحسوسات. وأيضاً فالصحابة الذين رأوا محمّداً، يأمرهم وينهاهم، وجب أن لا يعرفوا أنّه محمّد، لاحتمال أنّه ألقى شبهه على غيره. وذلك يفضي إلى سقوط الشرائع. وأيضاً فمدار الأمر في الأخبار المتواترة، على أن يكون المخبر الأول، إنّما أخبر عن المحسوس. فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات، كان سقوط خبر التواتر أولى. وبالجملة ففتح هذا الباب، أوّله سفسطة، وآخره أبطال النبّوات بالكلّيّة.

الإشكال الثاني هو أنّ الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام، بأن يكون معه في أكثر الأحوال. هكذا قال المفسّرون في تفسير قوله إذ أيّدتُّك بروح القدس ثمّ أنّ طرف جناح واحد من أجنحة جبريل، كان يكفي العالم من البشر. فكيف لم يكفِ في منع أولئك اليهودِ عنه؟ وأيضاً المسيح لمّا كان قادراً على إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود، الذين قصدوه بالسوء، وعلى إسقامهم، وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتّى يصيروا عاجزين عن التعرّض له؟

الإشكال الثالث أنّه تعالى كان قادراً على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء. فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره، إلاّ إلقاء مسكين في القتل، من غير فائدة إليه؟

الإشكال الرابع أنّه ألقى شبهه على غيره، ثمّ أنّه رُفِعَ بعد ذلك إلى السماء فالقوم اعتقدوا فيه أنّه عيسى، مع أنّه ما كان عيسى. فهذا كان إلقاء لهم في الجهل والتلبيس، وهذا لا يليق بحكمة الله.

الإشكال الخامس أنّ النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدّة محبّتهم للمسيح وغلّوهم في أمره. أخبروا أنّهم شاهدوه مقتولاً ومصلوباً. فلو أنكرنا ذلك، كان طعناً في التواتر. والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوّة محمّد، ونبوّة عيسى، بل في وجودهما، ووجود سائر الأنبياء، وكلّ ذلك باطل.

الإشكال السادس أنّه ثبت بالتواتر أنّ المصلوب بقي حيّاً زماناً طويلاً. فلو لم يكن ذلك عيسى، بل كان غيره، لأظهر الجزع، ولقال : إنّي لست بعيسى بل إنّما أنا غيره. ولبالغ في تعريف هذا المعنى. ولو ذُكِر ذلك، لاشتهر عند الخلق هذا المعنى. فلمّالم يوجد شيء من هذا، علمنا أنّ الأمر ليس على ما ذكرتم.التفسير الكبير **7 :70-71.**

ولكن إن كان القرآن في مقالته ينفي صلب المسيح، فهو لم ينفِ موته قبل ارتفاعه إلى السماء. وحين نتأمّل في آخرة المسيح من خلال القرآن نجد ثلاثة نصوص تؤكّد موته بكلمة وفاة أو موت ونصّين يؤكّدان موته قتلاً :

1وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً سورة مريم **19 :33**. ففي هذا النصّ إعتراف صريح بأنّ المسيح تجسّد ومات وبُعِث، وذلك على شكل نبوّة مرتكزة على معجزة. وهذا يوافق نصّ الإنجيل روحاً وحرفاً.

2إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الذِينَ ا تَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ سورة آل عمران 3 :55.

3وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ا بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ا تَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ا عْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ سورة المائدة 5 :116-117.

4وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَّابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ا بْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَالَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ ا سْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ سورة البقرة 2 :87. فكلمة تقتلون هنا لا لبس فيها، ولا يصحّ تفسيرها بغير القتل. ولمّا كان القرآن لم يذكر كيف قُتِل المسيح، فالإنجيل هو المرجع الأصليّ أوّلاً وآخراً في هذا الموضوع.

5الذِينَ قَالُوا أي اليهود إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالبَيِّنَاتِ وَبِالذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِ ينَ سورة آل عمران 3 :183.

وإذا ما تقصّينا الأمر من روايات القرآن نرى أنّ الرسول الوحيد الذي أتى بالقربان هو المسيح، إذ يقول :وقَالَ عِيسَى ا بْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدِ الأَ وَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةَ مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِق ينَ سورة المائدة 5 :114.

والآن لنرجع إلى مقالة سورة النساء وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وذلك في محاولة لإخراج المتشبّثين بحرفيّة كلماتها من سجن الحرف إلى رحاب حرّيّة الروح، ليس لأنّنا نحتاج إلى غير نصوص الإنجيل لإبراز الحقّ، وإنّما عملاً بمبدأ الكياسة حيال شعور الغير. وهذه المحاولة تستلزمنا أن نكشف عن قصد رؤساء اليهود من قتل المسيح. هذا الأمر بسطه لنا يوحنّا البشير في انجيله، إذ يقول : فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ وَالفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعاً وَقَالُوا : مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ ه كَذَا يُؤْمِنُ الجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا. فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ : أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئاً، وَلَا تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا الإنجيل بحسب يوحنّا 11 :47-51.

والواقع أنّهم حين علّقوه على الصليب، ومات وأنزل في القبر وخُتِم باب قبره عليه بأختام بيلاطس، فرحوا جدّاً وظنّوا أنّهم تخلّصوا نهائيّاً، من تعليمه وآياته. وأملوا أنّ موته القاسي يكفي لردع أتباعه عن القيام بأي نشاط. ولكنّ رياح المشيئة الإلهيّة أتت بما لا تشتهي سفن إرادة اليهود المستكبرين، لأنّ موته الكفّاريّ على الصليب، سرعان ما جذب إليه الألوف والربوات. فتمّ ما تنبّأ به له المجد : وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الجَمِيعَ الإنجيل بحسب يوحنّا 12 :32.

وكذلك العجائب ظلّت تجري على أيدي رسله. وفقا للسلطان الذي أعطاهم إيّاه. ويخبرنا الكتاب المقدَّس وَكَانَ اللّهُ يَصْنَعُ عَلَى يَدَيْ بُولُسَ قُوَّاتٍ غَيْرَ المُعْتَادَةِ، حَتَّى كَانَ يُؤْتَى عَنْ جَسَدِهِ بِمَنَادِيلَ أَوْ مَآزِرَ إِلَى المَرْضَى، فَتَزُولُ عَنْهُمُ الأَمْرَاضُ، وَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ مِنْهُمْأعمال 19 :12.

ولهذا يمكننا أن نقبل نصّ القرآن شهادة عليهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه مالهم به من علم إلاّ اتّباع الظنّ وما قتلوه يقينا لأنّه قام في اليوم الثالث. وبعد أربعين يوماً ظهر خلاله التلاميذه، صعد إلى السماء وجلس عن يمين العظمة وفقا للقول : إنّي متوفيك ورافعك إليّ.

3 أدلّتنا على صلب المسيح

إنّها كثيرة جدّاً بحيث لا يتّسع مجال هذا الكتيب لذكرها بالتفصيل، ومنها :

أوّلاً : النبوّات

فقد جاءت في الكتب المقدَّسة نبوّات كثيرة عن أحداث تقترن بموت المسيح الفدائيّ على الصليب، وتمّت كلّها بالحرف.

النبوّة : يُباع بثلاثين من الفضّة :

فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنْ حَسُنَ فِي أَعْيُنِكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي,,. فَوَزَنُوا أُجْرَتِي ثَلاَثِينَ مِنَ الفِضَّةِ زكريّا 11 :12.

إتمامها

حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الا ثْنَيْ عَشَرَ، الذِي يُدْعَى يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَقَالَ : مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟ فَجَعَلُوالهُ ثَلاثِينَ مِنَ الفِضَّةِ الإنجيل بحسب متّى 26 :14 و15.

النبوّة : يُشرى بثمنه حقل يُدعى حقل الفخّاري :

َقَالَ لِي الرَّبُّ : أَلْقِهَا إِلَى الفَخَّارِيِّ، الثَّمَنَ الكَرِيمَ الذِي ثَمَّنُونِي بِهِ. فَأَخَذْتُ الثَّلاَثِينَ مِنَ الفِضَّةِ وَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّزكريّا 11 :13.

إتمامها

حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلاً : قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَماً بَرِيئاً. فَقَالُوا : مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ! فَطرَحَ الفِضَّةَ فِي الهَيْكَلِ وَا نْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ الفِضَّةَ وَقَالُوا : لَا يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الخِزَانَةِ لِأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ. فَتَشَاوَرُوا وَا شْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ الإنجيل بحسب متّى 27 :3-8.

النبوّة : يُنكَّلُ به ويُصلَب :

أَحَاطَتْ بِي كِلَابٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أَحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّمزمور 22 :16-17.

إتمامها

فَمَضَى بِهِ العَسْكَرُ إِلى دَاخِلِ الدَّار,,, وَجَمَعُوا كُلَّ الكَتِيبَةِ. وَأَلْبَسُوهُ أُرْجُواناً، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ، وَابْتَدَأُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قائِلِينَ : السَّلَامُ يَا مَلِكَ اليَهُودِ! وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ. وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الأُرْجُوانَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيَصْلِبُوهُ الإنجيل بحسب مرقس 15 :16-20.

النبوّة : يُثْخن بالجراح :

وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَاإشعياء 53 :5.

عَلَى ظَهْرِي حَرَثَ الحُرَّاثُ. طَوَّلُوا أَتْلَامَهُمْ مزمور 129 :3.

إتمامها

وَالرِّجَالُ الذِينَ كَانُوا ضَابِطِينَ يَسُوعَ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَهُمْ يَجْلِدُونَهُ، وَغَطَّوْهُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَيَسْأَلُونَهُ : تَنَبَّأْ! مَنْ هُوَ الذِي ضَرَبَكَ؟الإنجيل بحسب لوقا 22 :63-64.

النبوّة : - يتقبّل الآلام بصمت :

ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ، كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فاهُإشعياء 53 :7.

إتمامها

الذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ. الذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ بطرس الأولى 2 :23 و24.

النبوّة : يُضرَب ويُبصَق في وجهه :

بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ العَارِ وَالبَصْقِ إشعياء 50 :6.

إتمامها

وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأسِهِ بِقَصَبَةٍ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ,,, حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ الإنجيل بحسب مرقس 15 :19، ومتّى 26 :67.

النبوّة : يُستهزأ به :

كُلُّ الذِينَ يَرُونَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ وَيُنْغِضُونَ الرَّأسَ قَائِلِينَ : ا تَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ. لِيُنْقِذْهُ لِأَنَّهُ سُرَّ بِهِ مزمور 22 :7-8.

إتمامها

وَكَانَ المُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ : يَا نَاقِضَ الهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ا بْنَ اللّهِ فَا نْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!. وَكَذَ لِكَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ أَيْضاً وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الكَتَبَةِ وَالشُّيُوخ قَالُوا : خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَ االإنجيل بحسب متّى 27 :39-42.

النبوّة : يتعجّب لماذا تركه الآب :

إِلهِي! إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيداً عَنْ خَلَاصِي عَنْ كَلَامِ زَفِيرِي؟مزمور 22 :1.

إتمامها

وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً : إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟الإنجيل بحسب متّى 27 :46.

النبوّة : يُسقى خلاًّ :

وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقماً، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ مزمور 69 :21.

إتمامها

بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الكِتَابُ قَالَ : أَنَا عَطْشَانُ. وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعاً مَمْلُوّاً خَلاًّ، فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ الإنجيل بحسب يوحنّا 19 :28 و29.

النبوّة : يتقاسم الجند ثيابه بالقرعة :

يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ مزمور 22 :18.

إتمامها

ثُمَّ إِنَّ العَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْماً. وَأَخَذُوا القَمِيصَ أَيْضاً. وَكَانَ القَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ، مَنْسُوجاً كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا نَشُقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ الإنجيل بحسب يوحنّا 19 :23-24.

النبوّة : لا تُكسَر عظامه :

يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَالا يَنْكَسِرُ مزمور 34 :20.

إتمامها

فَأَتَى العَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ المَصْلُوبَيْنِ مَعَهُ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ الإنجيل بحسب يوحنّا 19 :32-33.

النبوّة : يُطعَن بحربة :

يَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ زكريّا 12 :10.

إتمامها

لَكِنَّ وَاحِداً مِنَ العَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ الإنجيل بحسب يوحنّا 19 :34.

النبوّة : يموت بين أشرار ويُكرَم عند موته :

وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَار قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ إشعياء 53 :9.

إتمامها

حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ اليَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ اليَسَارِ.,, وَلَمَّا كَانَ المَسَاءُ، جَاءَرَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ وَكَانَ هُوَ أَيْضاًتِلْمِيذا ليَسُوعَ. فَهذَا تَقَدَّمَ إلى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطى الجَسَدُ. فَأَخَذَ يُوسُفُ الجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الجَدِيدِ الذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ الإنجيل بحسب متّى 27 :38، 57-60.

ثانياً : إعلانات المسيح

في مناسبات عديدة،صرّح المسيح لتلاميذه بأنّ عمله الخلاصي يستلزم موته على الصليب. وأبرز تصريح جاء في خطابه الوداعيّ، الذي ألقاه على مسامعهم في الليلة التي أسلِم فيها، والذي يعدّ بحقّ روعة الإنجيل. فيما يلي بعض إعلاناته الخاصّة بموته على الصليب لفداء الجنس البشريّ :

مِنْ ذ لِكَ الوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إلى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخ وَرُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ الإنجيل بحسب متّى 16 :21.

فِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الجَلِيلِ قالَ لَهُمْ يَسُوعُ : ا بْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إلى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ الإنجيل بحسب متّى 17 :22 و23.

وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا قالَ لِتَلَامِيذِهِ : تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الفِصْحُ، وَا بْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ الإنجيل بحسب متّى 26 :1 و2.

وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ا بْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخ وَرُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ الإنجيل بحسب مرقس 8 :31.

كَانَ يُعَلِّمُ تَلَامِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ إنَّ ا بْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ الإنجيل بحسب مرقس 9 :31.

هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إلَى أُورُشَلِيمَ، وَا بْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إلَى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ الإنجيل بحسب مرقس 10 :33-34.

يَنْبَغِي أَنَّ ا بْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيراً، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخ وَرُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ الإنجيل بحسب لوقا 9 :22.

وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الحَيَّةَ فِي البَرِّيَّةِ ه كَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ا بْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ الإنجيل بحسب يوحنّا 3 :14-15.

ثالثاً : شهادة الرسل

كلّ مَن يقرأ سفر أعمال الرسل ورسائلهم، يلاحظ أنّ التعاليم التي نشروها وبشّروا بها في كلّ العالم قامت على المناداة بالمسيح مصلوباً من أجل خطايا العالم. فيما يلي مقتطفات من أقوال الرسل التي بعد أن نادوا بها، كتبوها مسوقين بالروح القدس، لأجل تعليمنا.

قال بطرس لليهود : يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ,,, هذا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللّهِ المَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابق، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُأعمال 2 :22-23.

وقال بولس : لكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الكَامِلِينَ، وَلِ كِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْر، وَلَا مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْر، الذِينَ يُبْطَلُونَ. بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللّهِ فِي سِرٍّ : الحِكْمَةِ المَكْتُومَةِ، التِي سَبَقَ اللّهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُور لِمَجْدِنَا، التِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْر لِأَنْ لَوْ عَرَفُوا لمَا صَلَبُوا رَبَّ المَجْدِ كورنثوس الأولى 2 :6-8.

وقال الرسول يوحنّا : وَلكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّور كَمَا هُوَ فِي النُّور، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ المَسِيح ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ يوحنّا الأولى 1 :7.

اقرأ أيضاً أعمال 2 :36 ، رومية 6 :5-6 ، كورنثوس الأولى 1 :17-18، 1 :22-24، 2 :1-2، كورنثوس الثانية 13 :3-4، غلاطية 3 :13، فيلبّي 2 :5-8، عبرانيّين 12 :2.

رابعاً : العجائب التي رافقت موت المسيح

يخبرنا متّى البشير أنّه حين أسلم يسوع الروح أظلمت الشمس وانشقّ حجاب الهيكل إلى اثنين، من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت، والقبور تفتّحت الإنجيل بحسب متّى 27 :50-54. فقد حدثت ظاهرة في الطبيعة، أثارت عناصرها. ونجم عن فعلها تأثير في النفس البشريّة، حتّى أنّ قائد المئة الرومانيّ الوثنيّ المكلّف بتنفيذ حكم الإعدام في المسيح ومَن معه، اندهشوا وآمنوا بالمصلوب. وقالوا : حقّاً كان هذا ابن الله لأنّ هذه الظاهرة الفريدة لم تحدث من قبل ولا من بعد عند موت إنسان.

خامساً : قيامة المسيح

هذا الحادث العجيب جدّاً، تمّ وفقا لقول الربّ يسوع للفرّيسيّين والكتبة : ا نْقُضُوا هذَا الهَيْكَلَ وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ الإنجيل بحسب يوحنا 2 :19.

في الواقع أنّه في فجر اليوم الثالث وهو الأحد، حدثت آية الآيات على الإطلاق. فقد قام ربّ المجد، من بين الأموات. وأعلنت السماء نفسها، هذا الحدث العجيب. فقبيل الفجر حدثت زلزلة عظيمة، لأنّ ملاك الربّ نزل من السماء ودحرج الحجر الضخم عن باب القبر. وكان منظره كالبرق ومن خوفه ارتعد الحرّاس، الذين كُلّفوا بأمر من

بيلاطس بحراسة القبر. وذلك بناء على طلب رؤساء الكهنة، الذين أشاعوا أنّ تلاميذ يسوع مزمعين على سرقة جسده وإخفائه والمناداة بقيامته.

في ذلك الصباح المجيد، جاء نفر من السيّدات ومعهنّ طيوب وحنوط لدهن جسد يسوع كإكرام أخير. وكان أوّل من وصلت إلى القبر مريم المجدليّة ومريم أمّ يعقوب. وإذ وجدتا الحجر مدحرجاً عن باب القبر، والقبر فارغاً اندهشتا جدّاً. ولكن فيما هما تتساءلان، ظهر لهما ملاك الربّ، وقال لهما لَا تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ ه هُنَا، لِأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ. هَلُمَّا ا نْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعاً فِيهِ. وَا ذْهَبَا سَرِيعاً قُولَا لِتَلَامِيذِهِ إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ الإنجيل بحسب متّى 28 :1-7.

وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلَامِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لَاقَاهُمَا وَقَالَ : سَلَامٌ لَكُمَا. فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَالهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ : لَا تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولَالإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي الإنجيل بحسب متّى 28 :9-10.

هذه حادثة القيامة وقد كُتِبَت في الإنجيل بالوحي، ولا يمكن لمصدّق كلمة الله أن ينكرها. وإذا تجرّأ أحد على نكرانها، فكأنّه يزعم أنّ الله والملائكة ويسوع تواطأوا معا لخداع الناس.

سادساً : شهادة التاريخ

إنّ موت المسيح على الصليب يؤيّده المؤرّخون القدماء من وثنيّين ويهود، وقد كتبوا عنه بكلّ إيضاح :

1 تاسيتوس الوثنيّ، سنة 55 ميلاديّة، كتب هذا المؤرّخ في مجلداته الضخمة فصولاً ضافية عن صلب المسيح، والآلام التي تجرّعها.

2 يوسيفوس اليهوديّ، الذي وُلِدَ بعد الصلب ببضع سنوات. هذا كتب تاريخ أمّته في عشرين مجلّداً، وقد أورد في كتاباته بياناً مفصّلاً عن صلب السيح بأمر من بيلاطس.

3 لوسيان اليونانيّ، سنة 100 ميلاديّة. هذا كان أحد مؤرّخِي اليونان البارزين. وقد كتب عن موت المسيح وعن المسيحيّين. وإذ كان من مذهب الأبيقوريّين، لم يستطع فهم إيمان المسيحيّين واستعدادهم للاستشهاد في سبيل يسوع. وقد سخر في كتاباته من اعتقادهم بخلود النفس وشوقهم إلى السماء. وحسبهم شعباً مخدوعاً يتعلّق بأهداب ما بعد الموت، بدلاً من التمتّع بالوقت الحاضر. وأبرز ما جاء في مؤلّفاته في صدد المسيح قوله : إنّ المسيحيّين ما زالوا يعبدون ذلك الرجل العظيم، الذي صُلِب في فلسطين لأنّه أدخل إلى العالَم ديانة جديدة.

سابعاً : شهادة الوالي بيلاطس

فهذا الطاغية أرسل إلى طيباريوس قيصر تقريراً ضافياً، عن صلب المسيح ودفنه وقيامته. وقد حُفظ هذا التقرير في سجلاّت رومية. وكان من الوثائق، التي استند إليها العالِم المسيحيّ ترتليانوس في دفاعه المشهور عن المسيحيّين.

ثامناً : شعار الصليب

هذا دليل مادّيّ، لا يجوز لأحد أن ينكره، لأنّ لكلّ دين شعاره كالنجمة السداسيّة لليهود، والهلال للمسلمين. وإشارة الصليب عُرفت من أقدم عهود المسيحيّة، وقد نقشها المسيحيّون الأوائل على أضرحة الموتى وفي السراديب التي كانوا يجتمعون فيها في زمن الاضطهاد.

تاسعاً : شهادة التواتر

في ممارسة المسيحيّين فريضة العشاء الربّانيّ التي تذكّرهم بموت المسيح على الصليب شهادة حيّة على مرور الزمن أنّ المسيح مات مصلوباً. ويقيناً أنّ هذه الفريضة التي رسمها المسيح في الليلة التي أسلِمَ فيها، وأوصى تلاميذه بممارستها تذكارالموته الكفّاريّ لدليل قويّ لا يمكن نقضه. وقد مارس الرسل الأطهار هذه الفريضة، وسلّموها للكنيسة منذ البداية، وفقا لقول الرسول بولس : لِأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً : إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ : خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي المَكْسُورُ لِأَجْلِكُمْ. ا صْنَعُوا ه ذَالذِكْرِي. كَذَ لِكَ الكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلاً : ه ذِهِ الكَأْسُ هِيَ العَهْدُ الجَدِيدُبِدَمِي. ا صْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي كورنثوس الأولى 23:1-26.

عاشراً : شهادة التلمود اليهوديّ

من المعروف أنّ التلمود كتاب مقدّس فينظر اليهود. وقد جُمِع في مجلّدات ضخمة، يستطيع أيّ باحث أن يطّلع عليها. ففي النسخة التي نُشِرت عام 1943 في أمستردام، يُقرأ على الصفحة 42 هذه العبارات : لقد صُلِب يسوع قبل الفصح بيوم واحد. ونودي أمامه أربعين يوماً أنّه سيُقتَل لأنّه ساحر قصد أن يخدع إسرائيل ويضلّه. وطلب إلى مَن يشاء الدفاع عنه. ولمّا لم يتقدّم أحد صُلِب في مساء الفصح. وهل يجرؤ أحد على الدفاع عنه؟ ألم يكن مفسداً؟ وقد قيل في الأنبياء : أنّ شخصاً مثل هذا لَا تَسْمَعْ لَهُ وَلَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَرِقَّ لَهُ وَلَا تَسْتُرْهُ، بَلْ قَتْلاً تَقْتُلُهُ تثنية 13 :8.

4 لماذا صُلِبَ المسيح؟

هذا سؤال نسمعه كثيراً، وخصوصاً في هذه الأيّام. وليس من جواب أكثر وضوحاً ممّا جاء في قانون الإيمان : إنّه من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسّد بالروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً وصُلِبَ عنّا على عهد بيلاطس البنطيّ وتألّم وقُبِرَ وقام أيضاً في اليوم الثالث وصعد إلى السماء.

فيما يلي بعض البراهين على لزوم موت المسيح الكفّاري على الصليب :

1 الحاجة إلى الخلاص :

ما من شكّ في أنّ الخلاص حاجة جميع الناس لأنّ الخطيئة ثابتة على الجنس البشريّ، إذِ الجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللّهِ هكذا قال بولس رومية 3 :23كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا إشعياء 53 :6. وقال يوحنّا :إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الحَقُّ فِينَا.,, إِنْ قُلْنَا إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا يوحنّا 1 :8-10.

ويقيناً أنّ في قلب كلّ إنسان شعوراً طبيعيّاً بديهيّاً، بأنّ التوبة لا تستطيع رفع الخطايا السالفة. وأنّه لا بدّ من وسيلة أكثر فعاليّة لنيل الصفح. وهذه الوسيلة، هي الكفارة. وإلاّ فبِمَ نعلّل وجود الذبائح، منذ القديم وانتشارها بين معظم أديان العالم، ونيلها هذا الحظّ الكبير من التقليد والتواتر؟ أليس لأنّ مبدأها موافق لما يشعر به قلب الخاطئ، من الحاجة إلى التكفير عن آثامه؟

2 البرهان العقليّ :

**يقرّ الجميع أنّ الله قدّوس، وأنّ الإنسان خاطئ أثيم. ولمّا كانت الخطيّة إهانة لاسم الله ومخزية للإنسان، الذي خلقه الله على صورته كشبهه، فقد استحقّ دينونة الله. ولا يمكن تبريرها إلاّ إذا انتفى حكم الدينونة على الخاطئ.
والتوبة التي ليست سوى رجوع إلى خطّ الطاعة لا يمكن أن تعطي التبرير المطلوب. لأن ليس لها شيئاً من عمل التكفير عن الخطايا السالفة. لأنّه لو صحّ ذلك لما بقي كرامة لعدل الله، ولا اعتبار لقداسته.**

3 موافقة الكفّارة لمقتضى الشريعة :

**فالشريعة الإلهيّة لا تتنازل عن حقّها وحكمها القائل أجرة الخطيّة هي موت. أي أنّها تطلب قصاص الجاني.
والشريعة التي تخلو بنودها من القصاص ليست بشريعة صالحة. الشريعة هي النائب العامّ، ولا يحقّ للنائب العامّ أن يتنازل عن طلب القصاص للمذنب، وإلا لطُعِنَ به كحارس صالح للعدل الإلهيّ. وباختصار فإنّ الشريعة الإلهيّة تطلب قصاصا للخاطي أو كفّارة عن خطاياه. وهنا يجب أن تلهج ألسنتنا بالشكر، لأنّ المسيح قدّم هذه الكفّارة عن الإنسان، وتبعا لذلك صار كلّ مَن يقبله مخلَّصاً ينال باسمه غفران الخطايا.**

ولسعادة البشر أنّ كفّارة المسيح كانت شاملة، بحيث لا يصحّ لأحد أن يقول إنّ المسيح لم يمت من أجله. وما أروع ما قاله إشعياء النبيّ : هُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي المُذْنِبِينَ إشعياء 53 :12. وقال بولس : مَعَ كَوْنِهِ ا بْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ عبرانيّين 5 :9.

4 موافقة الكفّارة لحاجة الإنسان الأدبيّة :

من المعروف أنّ لكلّ إنسان طبيعة أدبيّة وضميرٌ يقدّر سمّو العدل والقداسة. فإذا اقتنع بخطيّته ولم يجد لها كفّارة ينزعج روحيّاً، وتضطرب حواسّه الأدبيّة.

ومن المسلّم به أيضاً أنّ الإنسان بالرغم من سقوطه وتمرّسه بالخطيّة لا يتلاشى ضميره، بل بقي تلك القوّة الأدبيّة التي تميّز الحلال من الحرام وتحكم بالعقاب أم بالثواب. ويمكننا القول إنّ هذه القوّة هي صدى صوت سلطان الله الذي خلقها على غاية الموافقة في اتّجاهاتها مع أحكامه المنزلة على جبل سيناء. ولكنّ هذه القوة مع أهمّيّتها، لا تستطيع خلاص الإنسان من الدينونة.قد يؤثّر احتجاجها على الشرّ لدى الإنسان، ولكنّ الاحتجاج لا يستطيع تبريره. وأنّه فقط يصادق أنّ الناموس حسن. ولكنّ الناموس أيضا لا يستطيع أن يبرّر. الناموس، قال بولس أنّه يؤدّبنا إلى المسيح.

وكذلك صوت دينونة الضمير أو الشعور بالأثم يفرض علينا وسيط صلح يكفّر عن خطايانا. ولكن مع بروز هذه الحقيقة، يوجد أكثريّة بين الناس تحاول حلّ مشكلة الضمير بأعمال البرّ الذاتيّ،ظنّاً أنّ الأعمال البارّة تُقابَل برحمة الله. ولهذا تراهم يهملون حكم الضمير بالقصاص ويلجأون إلى رجاء الرحمة.

5 ترتيب الله للكفّارة :

لو لم يكن ثمّة لزوم للكفّارة لما رتّبها الله، فقد قال المسيح أنَّ ا بْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ الإنجيل بحسب متّى 20 :28. لِأَنَّهُه كَذَا أَحَبَّ اللّهُ العَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ا بْنَهُ الوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ الإنجيل بحسب يوحنّا 3 :16.

وقال الرسول المغبوط بولس : وَلِ كِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَمَانِ، أَرْسَلَ اللّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِن امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ غلاطية 4 :4 و5.

هذه الآيات المجيدة تبيّن لنا أنّ الله أحبّ الإنسان، محبّة عجيبة غنيّة بالرحمة. وهذه المحبّة الفائقة الرحمة تجسّدتْ في يسوع، وعبّر عنها بالفداء الذي أكمله على الصليب. لكي يعرف جميع الناس أنّ الله ليس قدوساً عادلاً وحسب، بل هو أيضاً محبّة.

ويقيناً أنّ الفداء، ينبّه ضمير الخاطي بالمحبّة، فتصير المحبّة وثقاً يربطه إلى الصليب، الذي يثبت أنّ الله محبّة، ولهذا قال المسيح وأنا إِن ارتفعتُ عن الأرض، أجذب إليّ الجميع.

أيّها القارئ الكريم، إنّنا نعيش في زمن كثر فيه الصارخون : هوذا الأنظمة الجديدة، فاعملوا بها. هوذا الإخاء الجديد فاقبلوه, إنّنا نمدّ الأيدي للتعاون، ولكن عبثاً يفعلون، بدون صليب المسيح.

فبدون صليب المسيح

تفشل الأنظمة الجديدة ، ويكذب الإخاء الجديد، وتتحوّل أيدي التعاون إلى أيدٍ تحمل السلاح.

إنّ خطأ أبناء هذا الدهر أنّهم يشتركون مع اليونانيّين واليهود القدماء في نظرتهم إلى الصليب، وحسبانه جهالة وضعف وحقارة ولعنة وعثرة. وفي تقديرهم الخاطئ نسوا الصرخة الواجب أن ترتفع : هوذا حَمَلُ الله الذي يرفع خطيّة العالَم. لقد غاب عن أذهانهم القول الحكيم : اَلبِرُّ يَرْفَعُ شَأْنَ الأُمَّةِ، وَعَارُ الشُّعُوبِ الخَطِيَّةُ أمثال 14 :34.

عاودوا الزيارة بعد فترة وسوف تجدون مواضيع هامة جداً